هيكل باشا بين الماضى والحاضر

من غير المعقول أن نطالب سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا إذا ما نهض ليخطب فى عيد الدستور أو فى غيره بألا يشيد بحزب الأحرار الدستوريين، فحزب هو رئيسه الآن ويده اليمنى منذ سنة 1922 لا يعقل أن يكشف سعادة هيكل باشا عن عيوبه ولا أن يحاضر الناس فى علة وجوده. وظروف ظهوره. وقصر جهده فى الكفاح. ورضاه بالقليل.

إنَّ هذا الحزب نشأ فى مصر ولما يعلن فيها استقلال صحيح. ولا ظهر فيها دستور يجر إلى خلاف على الحكم. ولا وجد شىء كان يدعو إلى الفرقة. نشأ هذا الحزب والبلاد لاتزال تجاهد وهى لم تصل فى جهادها إلى شىء لأنَّ المستعمرين كانوا لا يزالون مصرين على عنتهم وتحكمهم. نشأ لأنَّ فكرة نبتت فى بعض النفوس ترمى إلى الرضا بالقليل والاعتدال فى التفكير مادام أننا ضعاف وخصومنا أقوياء.

تلك الفكرة كانت علَّة العلل، والسر الحقيقى فى المصيبة التى أصابت مصر فى جهادها والعقبة الكؤود التى عرضت لها فى طريق نضالها الذى بدأت تسير فيه منذ سنة 1918 عندما تألف الوفد المصرى.

وهذه الطامة التى أضعفت جهود البلاد وعوقت جهادها فجعلته لا يثمر إلا تصريح 28 فبراير سنة 1922 لا تجعل من هذا التصريح موضع فخر ولا اختيال ولا مباهاة.

ولست أدرى لماذا اختار سعادة هيكل باشا تحريك هذه الذكريات المؤلمة.

أيريد أن نتحدث عن نفوسٍ ضعفت فى إبان الثورة. وعزائم خارت وقت النهضة.

أريد أن نعرض لأحياء وأموات؟ لا.. لا.. لن ننساق إلى شىء من هذا. ولنترك ذلك كله للتاريخ ويكفينا الحاضر بأحداثه الجسام ويكفينا إشفاقنا الآن على مستقبل وطن كاد يحرج المستعمرين إحراجًا شديدًا، فدبرت حوادث عوقت الجهاد وأراحت المستعمرين من شر الأرق والسهاد..

ومهما قال سعادة هيكل باشا عن موقفه أو موقف أى من حضرات أعضاء حزبه إزاء معاهدة سنة 1936 فإنَّ الأحرار الدستوريين عرفوا من قديم بأنهم «المعتدلون» بهذا وصفهم الإنجليز وبهذا نعتهم الناس ولا سبيل إلى حمل التاريخ على نسيان شىء من هذا.

وأقسم غير حانثٍ أنَّ مهاجمتهم بالأمس واليوم لوزارة الوفد وترديدهم القول بأنها ألغت المعاهدة دون أن تعد للأمور العدة ما هو إلا نوع من أنواع الاعتدال وفصل من فصول كتاب عنوانه الاعتدال وأخذ بقول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

فلا داعى للتفاخر والمباهاة بتصريح 28 فبراير سنة 1922 لأننا لو بقينا كتلة واحدة لحققنا أهدافنا كاملة منذ سنين ولكن ....

هل يظن سعادة هيكل باشا أنَّ الناس لم يدركوا موقف الأحرار الدستوريين عند إعلان ذلك التصريح المشئوم وزعيم مصر وإخوانه فى المنفى.

إنَّ عمل الأحرار الدستوريين كان ضربة قاصمة للوطنية المصرية والجهود المصرية التى كانت تبذل للحصول على الاستقلال التام.

فهل يجوز لمن رضى بالقليل أن يفخر بالحصول عليه والمستعمرون قد مهدوا له ليصل إلى الحكم بنفى الزعماء وتشريدهم فى أقاصى الأرض؟

وأيًا كان الرأى فيما تحدث به سعادة هيكل باشا عن الماضى فإنَّ حديثه عن الحاضر فيه زرقة ناب. وكثير دهاء.

إنه ينفى أنَّ اتصالاتٍ جرت يراد بها تعديل الموقف الوزارى الحاضر وأنَّ زعماء الأحزاب المؤيدة للحكومة وافقوا على اشتراك أحزابهم فى الوزارة. ويقول إنَّ هذا النبأ مختلق اختلاقًا. وهذا الكلام موجه لغير الوفديين فليفهم من شاء أن يفهم من كل لبيب ونجيب.

وأمر آخر نفاه سعادة هيكل باشا وقال إنه افتراء واختلاق. وهذا الكلام موجه لغير الوفديين فليفهم من شاء أن يفهم من كل لبيبٍ ونجيبٍ.

وأمر آخر نفاه سعادة هيكل باشا وقال إنه افتراء واختلاق وهو ما قيل من أنَّ الأحزاب المؤيدة للحكومة استشيرت فى أمر تأجيل الانتخابات لأنَّ الأحكام العرفية تدعو إلى ذلك وأنَّ تلك الأحزاب قد وافقت.

ينفى سعادة هيكل باشا هذه الموافقة من جانب الأحزاب بشدة. إذن فهيكل باشا لا يريد التأجيل وحزبه والأحزاب الموالية لحزبه لا تريده أيضًا وهذا حسن وجميل نقره عليه ونرضاه تمامًا ونقول به ونرجو ألا تعدل تلك الأحزاب عنه وأن تصر عليه.

فى هذا الشأن اتفقنا ولكننى أختلف مع سعادته فى الدافع أو الملابسة.

فسعادته قد قال إنَّ الانتخابات يجب أن تجرى فى نفس الجو الذى أدَّى إلى إعفاء الوزارة الوفدية من الحكم.. وأنا أقول إنها يجب أن تجرى فى موعدها الدستورى وأن يلغى الحكم العرفى قبل أن تجرى الانتخابات وأن تكون حرة بعيدة عن كل عبثٍ وتزييفٍ.

أما الجو الذى يشير إليه سعادته فلا يعنينى لإيمانى بأنَّ هذا الجو الذى يتخلله لمصلحة الأحزاب المخاصمة للوفد هو فى مصلحة الوفد نفسه بشرط أن تجرى الانتخابات حرة.

وأحب أن أؤكد لسعادة رئيسى السابق أنَّ الناس يفهمون الأمور على حقيقتها تمامًا بإلهام من عند الله القاهر فوق عباده.

إنَّ حرائق يوم 26 يناير سنة 1952 دبرت بليل وأنَّ الذين أفادوا منها لم يكن المصريين. وهذا يكفى الناس ليفهموا ويفهموا.

فإلى الانتخابات الحرة اليوم قبل غد ويكفينا أن نسجل لسعادة الدكتور هيكل باشا أنه يطلب علنًا أن تجرى الانتخابات فى موعدها الدستورى.

ومما يدعو إلى الارتياح أيضًا أنَّ سعادة هيكل باشا لا يقر مبدأ الدفاع المشترك ويرى ألا تحمل مصر تبعات خارج حدودها ونحن نقره على هذا أيضًا.

والله يحقق أمله والسلام.